بلاغة السياق في سورة الفجر

"دراسة دلالية"

The Rhetoric of Context in Surat Al-Fajr: A Pragmatic Study.

د. محمد عبده يحيى الجحدبي

Dr. Mohammed Abdo Yahya Al-Jahdabi

ملخص البحث:

دلالة السياق من الدلالات العظيمة، اعتنى بها طائفة من المفسرين، واستنبطوا من القرآن الكريم مفاهيم ولطائف دقيقة حري بنا الوقوف عندها، كما أن السياق له أهمية أخرى عند البلاغيين، ويظهر ذلك جلياً في اشتراطهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال والمقام الذي سيق من أجله، وقد أدرك أهميته اللغويون المعاصرون، مستمدين الشيء الكثير من العلماء الأقدمين، بل صاغوا نظريات عدة يعددون فيها أنواع السياقات الدلالية، وزادوا ذلك شرحاً وتفصيلاً، كالسياق اللغوي، وسياق الموقف، والسياق العاطفي، والسياق الثقافي...إلخ

ومن خلال قراءاتي لسورة الفجر لفت انتباهي سياقات لطيفة، ودقائق جليلة للجمل الخبرية والإنشائية، فكتبت في ذلك، وأردت أن أتعمق أكثر في دلالتي الذكر والحذف، ودلالتي التعريف والتنكير، ودلالتي التقديم والتأخير لهذه السورة.

أما من حيث المنهج فهو تحليل وصفي بلاغي لسورة الفجر، واستخراج ما فيها من لطائف ودلالات.

الكلمات المفتاحية: السياق، الدلالة، سورة الفجر، السياق العاطفي، السياق الثقافي.

Abstract

Context indication has a great significance in Holy Quran. Therefore, some of the interpreters have payed attention to that and they have deduced various precise concepts and subtleties from the Holy Quran that need to be considered. The context has another significance for the rhetoricians, and this is evident since they required the text to conform to the requirement of the situation and to be relevant. Contemporary linguists have also realized the significance of context. They have taken a lot from ancient scholars and they have formulated several theories in which they have discussed context and divided it into the following types: the linguistic context, the situational context, the emotional context, and the cultural context. Reading Surat Al-Fajr, the attention of the researcher is drawn to the subtle contexts, and the great niceties of analytic and synthetic sentences. The researcher, therefore, writes about that and delves into the contextual indication of ellipsis and non-ellipsis, the contextual indication of using a definite or indefinite articles, and the indications of topicalization and extraposition in this surat. As for the method, the study is a descriptive, rhetorical analysis of Surat Al-Fajr and extraction of its subtleties and meanings.

Keywords: context, indication, Surat Al-Fajr, emotional context, cultural context.

مقدمة

لا شك بأن القرآن الكريم قد تفوّقَ على كلام البشر، في دلالة الجمل والألفاظ، ومطابقة ذلك للمعاني، تقديمًا وتأخيرًا، وذكرًا وحذفًا، وتنكيرًا وتعريفًا، فذكر الكلمة في القرآن الكريم له معنى، وحذفها له معنى آخر، وتقديمها له معنى، وتأخيرها له معنى مستقل بذاته، حتى الحرف له مدلوله حينما يذكر، وله مدلوله ومعناه عندما يحذف، وكل فصاحة وبلاغة انتهى إليها البشر عالة على القرآن الكريم في جمله وألفاظه ومعانيه وبيانه.

وسورة الفجر ممتلئة بالمعاني اللطيفة، والدقائق السياقية البلاغية، وما هذه الدراسة إلا محاولة لإبراز ما فيها من جمال الترابط، وحسن السبك، وجودة السياق، ومحاولة تتبُّع مكامن السياقات الجمالية حتى تظهر للعيان، ويستقي منها كل مشتاقٍ وظمآن، فكم نحن بحاجة إلى مثل هذا التأمل والتدبر في زمن قلّ فيه المتدبرون، وكثُرَ فيه التالون لكلام الله بألسنتهم دون تفكير عميق، وتمعنٍ دقيق.

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلى معرفة مدى خدمة البلاغيين واللغويين المعاصرين والمفسرين للقرآن الكريم، لا سيما في جانب السياق ودلالته.

- وتهدف كذلك إلى محاولة إبراز بعض السياقات البلاغية اللطيفة، وما لها من دلالات خاصة، وترابط محكم ودقيق في سورة الفجر.

- كما تهدف إلى إظهار عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن الكريم؛ إذ كل حرفٍ له مدلوله الذي لا يمكن أن يحلّ محله حرف آخر، ولا يمكن الاستغناء عنه، وكل لفظٍ له اعتباره وقيمته الدلالية في هذا السياق، وكل جملةٍ لها مدلولها في تعمّدِ التقديم أو التأخير أو الذكر أو الحذف...

أهمية البحث :

نحن بحاجة ماسّة إلى فهم القرآن الكريم كفهم ذلك العربي القديم الفصيح، الذي كان يدرك معانيه ومقاصده ومدلول سياقاته من الوهلة الأولى، إذ كان يتقن علمي (المعاني والبيان) سليقة دون الحاجة إلى قواعدهما وضوابطهما، وانطلاقاً من ذلك تأتي أهمية قراءة القرآن قراءة سياقية دلالية، لا سيّما ممن هو ريّانٌ في علمي المعاني والبيان ومتسلح بهما، فلا شك أن من كان شأنه كذلك فسينظر إلى القرآن بمنظار مختلف عن الآخرين.

- وتظهر أهمية الموضوع أيضًا من خلال إظهار أسرار ومعاني القرآن الكريم للناس، وما تميّز به من كونه له دلالات لطيفة في نظمه وترابطه وتركيبه.

أسباب اختيار الموضوع:

- إظهار تميّز القرآن الكريم وتفوّقه على كلام البشر في سياقاته ودلالة معانيه.

- الرغبة في دراسة كلام الله تعالى ومعرفة مدى مطابقته في سياقاته ذكرًا وحذفًا وتقديمًا وتأخيرًا...

الدراسات السابقة :

القرآن الكريم خُدمَ خدمة كبيرة من قِبَل المفسرين، ومن قبَل اللغويين والبلاغيين واهتموا به كثيرًا، بل وأفردوا ذلك بسورة معينة برسائل دكتوراه وماجستير عدّة، منها على سبيل المثال:

- رسالة ماجستير بعنوان: (دلالة السياق في فهم النص القرآني سورة يوسف أنموذجًا) لـ عبدالفتاح خمار...وغيرها.

أما البحوث المحكّمة فمنها:

- دراسة بعنوان «خطاب امرأة عمران في القرآن دراسة بلاغية»، نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية.

- دراسة بعنوان «من بلاغة بعض آيات الدعاء في القرآن الكريم»، نشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.

- دراسة بعنوان (حركة المعنى في سورة الفجر دراسة بلاغية) لـ إبراهيم صلاح.

خطة البحث:

وقد جعلت البحث في مدخلٍ، وخمسة محاور، وهي على النحو الآتي:

مدخل: تعريف مصطلح دلالة السياق.

أهمية دلالة السياق عند البلاغيين والنقاد القدامى.

أهمية دلالة السياق عند اللغويين المعاصرين.

أهمية دلالة السياق عند المفسرين.

المحور الأول: دلالتا السياق الخبري والإنشائي.

المحور الثاني: دلالتا الذكر والحذف.

المحور الثالث: دلالتا التعريف والتنكير.

المحور الرابع: دلالتا التقديم والتأخير.

المحور الخامس: دلالة السياق عند اللغويين المعاصرين.

مدخل:

تعريف مصطلح (الدلالة):

الدلالة في اللغة: يقول ابن فارس تـ (٣٩٥): «الدّالُ واللَّامُ أَصْلَانِ: أَحدُهما إِبَانَةُ الشيْءِ بأَمارة تتعلَّمُها، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ في الشَّيْءِ.

فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ»(١).

وقال الراغب: « الدّلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب»(٢).

وعرَّفه بعضهم بأنه: «دراسة المعنى»، أو «العلم الذي يدرس المعنى»(٣)، وهو المعنى للمفرد وللكلام بمجمله، وقسَّم النحاة الدلالة إلى أربعة:

قسمٌ يدلُ على مدلولٍ عام أو شامل (جبل)، وقسمٌ يدلُ على كيفية (قصير)، وقسمٌ يدلُ على حدث (سقط)، وقسمٌ يدلُ على ذات (خالد).

ومن الدلالات التي لها أهمية بالغة عند أهل البلاغة «دلالة السياق»، أو ما يسمى بـ «سياق النظم»، الذي يهتم بمعاني النحو وترابط الكلمات بعضها ببعض.

تعريف مصطلح (السياق):

السياق لغة: من السوق، يقال: انساقت الإبل، وتساوقت إذا تتابعت، والمساوقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضًا، يقول امرئ القيس:

لنا غنمٌ نسوقها غزارٌ كأن قرونَ جلتها العصي(٤)

نسوقها أي: نقودها بحيث يتبع بعضها بعضًا.

ويطلق السياق أيضًا على الانتظام(٥).

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ) - المحقق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - (٢/ ٢٥٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن لـ أبي القاسم المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) - المحقق: صفوان عدنان الداودي - دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - ط ١ - ١٤١٢هـ (ص: ٢١٦- ٣١٧).

(٣) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب - القاهرة ط ٥ - ١٩٩٨م - ص ١١.

(٤) ديوان امرئ القيس ت عبد الرحمن المصطاوي (ص: ١٦٥)، وصدر البيت: ألا إنْ تَكُنْ إبْلٌ فَمعْزَى ..

(٥) يقول ابن منظور: «والنظام: العقد من الجوهر والخرز ونحوهما، سمي بذلك لنظمه الجوهر والخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد، واتساق

وتعرضَّ أهل البيان لتعريف السياق اصطلاحًا ، وعدُّوه بمعنى النظم، إذ هو قريبٌ منه، فيقول عبد القاهر الجرجاني: «النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلم، على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام»(١).

وهذا يعني أن السياق له ارتباطٌ بالنظم، وأنه تنظيمٌ وجمعٌ لمجموعةٍ من الألفاظ تتناسب في سياقٍ واحدٍ ومقامٍ معين، يقول ستيفن أولمان: « المعنى السياقي هو الذي يُستقى من النظم اللفظي والمعنوي للكلمة وموقعها من ذلك النظم»(٢)، أو من السياق العام للكلام، إذ تخضع الكلمة للعلاقة المعنوية والظروف الحاليّة والتعبيرية المحيطة بها، التي يأتلفُ بعضها مع بعض لتبيّن المعنى الخاص لتلك الكلمة، الذي سُمي الإضاءة(٣)، أو الهامشي، أو ظلال المعنى(٤).

والقرآن الكريم مبنيٌ على جودة السبك، وترابط النظم إلى الحد الذي يعجز البشر؛ بل أعجز الثقلين من الجن والإنس بقوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]؛ ولا شك أن هذا التحدي خوطب به من أول الأمر العرب الذين هم أهل فصاحةٍ وبيانٍ، وأهل كفرٍ، الذين هم أحرص الناس على تكذيبه ورده والإتيان بمثله، واستمر هذا التحدي إلى يومنا هذا.

ومن ثم كتب كثيرٌ من المؤلفين عن الإعجاز القرآني والبلاغة وحسن النظم، والذي كان بمثابة النواة في هذا المجال، فعلى سبيل المثال كتاب «إعجاز القرآن» لأبي بكر الباقلاني ت (٤٠٣هـ)، وكتاب «دلائل الإعجاز» للجرجاني (٤٧١هـ) يشكل الكتابات مجموعةً من الأدلة والمعاني على عدم استطاعة أحدٍ من الثقلين أن يحاكي هذا القرآن في أسلوبه، ونظمه، وبلاغته.

وجاء بعد ذلك يحيى بن حمزة العلوي ت (٧٤٥هـ) في كتابه «الطراز المتضمن

واحد»، لسان العرب (١٠/ ١٦٦).

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (١/ ٤٤).

(٢) دور الكلمة في اللغة - تأليف: ستيفن أولمان، مكتبة الشباب - ص ٥٧.

(٣) علم الدلالة ص ٣٧.

(٤) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ط ٥- مكتبة الأنجلو المصرية - ص ١٠٧.

لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز»، تكلم فيه عن أن القرآن معجزٌ، بل وأفرد في ذلك فصلاً كاملاً تحدَّث فيه عن هذا المجال بإطناب، وتعرّض لوجوه إعجاز القرآن، وبيان الوجه في ذلك، وخلُص إلى اختيار ثلاثة أوجه للإعجاز، هي: الفصاحة في ألفاظه، والبلاغة في المعاني، وجودة النظم وحسن السياق[١].

السياق في دراسات البلاغيين وبعض النقاد القدامى:

تظهر أهمية السياق عند البلاغيين في اشتراطهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأنه حتَّى يكون مستساغًا مقبولًا لابد أن يتطابق ويتلاءم معه؛ ولذا اشتهرت مقولات البلاغيين: (لكل مقام مقال)، (لكل كلمة مع صاحبتها مقامٌ)[٢]، وفي صحيفة بشر بن المعتمر تـ (٢١٠هـ): «والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة.

وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال»[٣].

وهو كلام صحيح، فلا معنى للكلام، ولا يعلو شأنه ويرتفع إلا إذا كان مطابقًا للمقام الذي سيقَ من أجله، ولا يصل الكلام إلى الحسن والقبول والتأثير في نفس المخاطب إلا إذا كان كذلك، وإلا كان منحطًا وساقطًا لا اعتبار به.

ويعظّم هذا الشأن أبو عبيدة تـ (٢١٠هـ) في كتابه (مجاز القرآن)؛ حينما ينظر إلى الآيات القرآنية وسياقاتها الدلالية من خلال تفسيره للكلمة اللغوية التي تحتاج إلى تفسير بالقرائن والأحوال السياقية المختلفة: « الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته»[٤]، يتبيّن ذلك في منهجه عند الحديث عن بيان سبب تأليفه لهذا الكتاب، فبعد أن سُئل عن التشبيه في قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الصافات: ٦٥، أجاب بقوله: «وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله، وهذا لم

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - (العلوي)، (المتوفى: ٧٤٥هـ) - المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، (٣/ ٢٢٤).
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة (١/ ٤٣).
(٣) البيان والتبيين - عمرو بن بحر (الجاحظ) (المتوفى: ٢٥٥هـ) - دار ومكتبة الهلال، بيروت - ١٤٢٣هـ، (١/ ١٢٩).
(٤) مجاز القرآن - أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سز-ين - مكتبة الخانجى - القاهرة، ط: ١٣٨١هـ، (المقدمة/ ١٩).

يعرف؛ فقلت: إنما كلَّم اللهَ تعالىَ العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال[١]

وهم لم يروا الغول قطُ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به»[٢]، أي: خاطبهم القرآن بما يفهمون، ويتطابق مع حالهم ومقامهم الذي يعيشونه.

ويذكر الجاحظ تـ (٢٥٥هـ) في «البيان والتبيين» أنواع البيان، التي يبيّن فيه أصناف الدلالات للمعاني، ويقسِّمها إلى خمسة: اللفظ، الإشارة، والعقد، والخط، والحال»[٣].

ومقصده بـ (الحال) هنا الدلالة على ملمح السياق الذي هو مناط الأمر في الحديث، وفي عناصر الرسالة الكلامية، ويؤكد ذلك بكلامه عن مدار الأمر في عملية التواصل اللغوي فيقول: «ومدار الأمر على أفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم»[٤]، بمعنى أنه يجب عند صياغة الكلام مراعاة المتلقي ومدى معرفته ومنزلته في الفهم والإدراك.

ويوصي ابن قتيبة تـ (٢٧٦هـ) الكتّاب بوجوب مراعاة حال المخاطب؛ إذ جليل القدر يتناسب مع رفيع الكلام، ووضيعهم يتناسب معه خسيس الكلام، فيقول: « ونستحبُّ له أيضًا (أي الكاتب) أن يُنَزّل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطيَ خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيعَ الكلام»[٥].

ويوضِّح القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني تـ (٣٩٢)، مدى تأثير بعض المواقف على سياق البناء اللغوي، ويتَّضح التأثير من خلال النص ذاته؛ إذ يقول عند

(١) ديوان امرئ القيس ت المصطاوي (ص: ١٣٧).
(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء - عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المحقق: إبراهيم السامرائي - مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م- (ص: ٨٧).
(٣) البيان والتبيين (١/ ١١).
(٤) البيان والتبيين (١/ ٩٥).
(٥) أدب الكتاب-أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: محمد الدالي-مؤسسة الرسالة -(ص: ١٨).

حديثه عن أسباب اختلاف الناس في مقامات التعبير: « يرقُّ شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعَّر منطق غيره؛ وإنما ذلك وفق اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق؛ فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة. وأنت تجد ذلك ظاهرًا في أهل عصرك وأبناء زمانك، وترى الجافي الجلف منهم كزّ الألفاظ، معقَّد الكلام، وعر الخطاب؛ حتى إنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرسه ولهجته. ومن شأن البداوة أن تُحْدِثَ بعض ذلك»(١)، ويعلق د. هادي نهر على منهج الجرجاني في إبراز أثر السياق وتأثره أنه توصل إلى حقيقتين علميتين تُعدانَ - حديثًا - مَن منجزات الدلاليين المعاصرين، وهما:

«الأولى: أن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، والسلامة المقصودة عند الجرجاني لا تتمثل في السلامة اللغوية النابعة من بيئة اللغة من حيث بداوتها أو حضريتها، وإنما هي السلامة المرتبطة باتفاق العبارة أو الجملة مع الموقف النفسي للمرسِل أثناء صياغة رسالته.

والثانية: تميّز صاحب الرسالة ومنشئها بخصائص في ألفاظه ولهجته، مما يؤكد أهمية الجانب الصوتي في صياغة الرسالة اللغوية، وما يتعلق بها من ظروف محيطة تتمثل في سياق الموقف أو المقام»(٢).

والسياق هو نقطة البدء، وهو الذي يدور عليه المعنى؛ فلذا لا بد من النظر إلى علاقة الكلمة بالسياق والألفاظ مع بعضها بل ويركز عبد القاهر الجرجاني تـ (٤٧١هـ) اهتمامه بدلالة السياق الذي يسميه «النظم»، وأن اللفظ إنما يكتسب معناه من تركيب الكلام بعضه ببعض؛ لأن «الألفاظ المفردة التي هو أوضاع اللغة، لم توضح لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه - علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ص: ١٨).

(٢) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، د. هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١، ص٢٨١.

بينها فوائد»[١].

كذلك ممكن أن تدرك أسرار التفاوت الكلامي في السياق عندما يتغيَّر الموقف الكلامي، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، فالسياق هنا يحتِّم علينا أن نقدِّر محذوفًا، أي: سل أهل القرية، وأصحاب العير، في حين أن هذه العبارة لا تحتمل الحذف في سياق آخر فيما إذا كانت في « كلام رجل مرّ بقرية قد خربت، وباد أهلها، فأراد أن يقول لصاحبه واعظاً ومذكرًا، أو لنفسه متعظًا ومعتبرًا: اسأل القرية عن أهلها، وقل لها ما صنعوا؟ على حد قولهم: سل الأرض من شق أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فإنها إن لم تجبك حوارًا، أجابتك اعتبارًا»[٢].

وتناول الجرجاني أثر السياق الثقافي في التمييز بين الحقيقة والمجاز، وما يتصل بثقافة المتكلم ومعتقداته، فقد علّق على قول الصلتان العبدي:

أشاب الصغيرَ وأفنى الكبيرَ مرُّ الغداة وكرُّ العشي[٣]

وقول ذي الإصبع العدواني:

أهلكنا اللَّيلُ والنّهار مَعا والدّهر يَعْدُو مُصَمِّماً جَذَعا[٤]

فقد علّق عبد القاهر على ذلك بقوله: « كان طريق الحكم عليه بالمجاز، أن تعلم اعتقادهم التوحيد، إما بمعرفة أحوالهم السابقة، أو بأن تجد في كلامهم من بعد إطلاق هذا النحو، ما يكشف عن قصد المجاز فيه»[٥]، حيث أسند في البيت الأول الإفناء والإشارة إلى مرور العشي، والكرّ إلى الغداة، وفي البيت الثاني أسند الإهلاك إلى الليل والنهار، بمعنى أن التوحيد قائمٌ فيهما ويعتقدانه، وإنما أتيا بهذين

(١) دلائل الإعجاز - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر - مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - (١/ ٥٣٩).

(٢) أسرار البلاغة - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر -مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة - (ص: ٤٢٢).

(٣) الكامل في اللغة والأدب - محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة - ط٣ - (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م) - (٣/ ١٣٥).

(٤) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - دار الفكر - بيروت - ط٢ - تحقيق: سمير جابر - (٣/ ٩٣).

(٥) أسرار البلاغة (ص: ٣٨٩).

البيتين على سبيل المجاز العقلي.

أما السكاكي تـ (٦٢٦هـ)، فتناول مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال من زاوية اختلاف الكلام عن بعضها، وذلك مراعاة لسياقاتها المتنوعة، فيقول: « لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار... »(١).

وتبِعَ الخطيب القزويني الدرب نفسه حين نقل كلام السكاكي ملخصًا له، واكتفى بعرضه وجهة نظره في بيان المقصود بمقتضى الحال بقوله: « متقضى الحال هو الاعتبار المناسب، وهذا -أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال - هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم. حيث يقول: النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلم، على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام»(٢).

وخلاصة القول: أن السياق له أهمية كبيرة عند علماء البلاغة، فلا يفهم معنى الألفاظ إلا بسياق يدعم ذلك ويوضحه ويجلِّيه، فمن البلاغيين من يسميه بـ (النظم)، والبعض يطلق عليه بـ (لكل مقام مقال)، ومنهم من يقول بـ (مقتضى الحال)، وكل هذه - وإن اختلفت الألفاظ - فهي تخدم هذا المجال وبمعنى واحد.

السياق في الدرس اللغوي الحديث:

للسياق أهمية عند اللغويين المعاصرين، فكما أنه قد تكلم عنه علماء اللغة الأقدمون تحدث عنه أيضًا علماء اللسانيات واللغويات المعاصرون، سواءً العرب أو الغربيين، فنظرية (السياق) في ظاهرها من نتائج البحث الدلالي، لكن جذورها ممتدة إلى علمائنا ولغوييننا القدماء، مما يبدو واضحًا من بحوثهم المتعلقة بالنص وتحليله.

(١) مفتاح العلوم - يوسف بن أبي بكر السكاكي، أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) - علق عليه: نعيم زرزور - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط٢ - (ص: ١٦٨).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة (١/ ٤٣).

ويدل لفظ (السياق) عند اللغويين المعاصرين على الإطار الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر، فيشمل: زمن الكلام، والمفاهيم المشتركة، والكلام السابق للمحادثة، ويرادفه القرينة.

فالكلمة لا تكتسب قيمتها الدلالية من ذاتها فحسب، وإنما تكتسب ذلك أيضًا من خلال موقعها وارتباطها بما قبلها وما بعدها من الكلمات أو الألفاظ، يقول فندريس: « الذي يعيِّن قيمة الكلمة هو السياق؛ إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدًا مؤقتًا، والسياق هو الذي يفرض قيمةً واحدةً بعينها على الرغم من المعاني المتفرعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضًا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية»(١).

فلا شكَ - إذن - أن الكلمة تحتاج إلى ألفاظ أو كلمات أخرى من (حرف - أو اسم - أو فعل) يساعد على توضيح المعنى، وبذلك يتكوَّن المعنى المراد من المتكلم؛ ولذا لا بد عند تحديد معنى الكلام بشكل دقيق يتطلّب الاستعانة بوسائل أخرى غير المعجم، ومنها معرفة نسق الكلام ونظمه، وكذلك الموقف والحالة الكلامية التي ترافق عملية الكلام.

فدراسة معاني الكلام ودلالاته تتطلّب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغويّ؛ لأن « معنى الكلمة يتعدّد تبعاً لتعدّد السياقات التي تقع فيها اللفظة»(٢).

واستعمل هذا المصطلح (مالينوفسكي) الذي يعزو اللغويون المحدثون إليه نظرية السياق، إذ تناول اللغة في دراسته لأثرها في المجتمعات البدائية، بوصفها صيغة من الحركة، وليست أداة انعكاس جامدة، فاللغة الحيَّة يتحكم بها السياق - كما يستعملها الناس- وأن وظيفة اللغة تتجاوز إيصال الفكرة والانفعال، فهي نوعٌ من السلوك، مما يعلّل الأخذ بالمقام (الموقف الكلامي) أو (القرائن الحالية)، وهي

(١) اللغة - د فندريس - تعريب/ عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - مكتبة الأنجلو المصرية - ص ٢٣١.
(٢) علم الدلالة - د. أحمد عمر مختار ٦٩.

جميع ما يحيط بالنص، فالكلام والموقف مرتبطان في أداء المعنى بما يسمى: سياق الموقف[١].

ومن الجديد الذي اقترحه مالينوفسكي توظيف مصطلح

(سياق الموقف context of situation)

، توظيفاً خاصاً في إطار ما يُعرفُ بالسياق الثانوي، أو ما يدور حول النص من سياقات غير لغوية تسهم بدورها في إضاءة جوانب هذا النص[٢]؛ لأن معنى الكلمة عند السياقيين هو استعمالها في اللغة، فإن « معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها»[٣].

وعدّ (أولمان) المنهج السياقي تمهيدًا للمنهج التحليلي، ولكي تعرف دلالة المفردة ينبغي ملاحظتها في سياق أو سياقات متعددة من الاستعمال، ويستخلص من الواقع العملي لاستعمالها العامل المشترك، فهو المعنى أو المعاني المتعددة للكلمة، لكن (فيرث) لا يعد المعنى موجودًا في الذهن، ولا يقر فكرة العلاقة المتبادلة بين اللفظ والصورة الذهنية للشيء - كما قرَّر (أولمان) - فليس المعنى ارتباطات عقليةً مستترةً، بل هو مجموعة ارتباطات وخصائص ومميزات لغوية تعرف من الموقف الكلامي[٤].

ويرى السياقيون المعتدلون أن السياق لا يقتصر على معناه التقليدي؛ وهو النظم للكلمة وموقعها منه، أي: الكلمة والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل القطعة كلها، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل - بوجه من الوجوه- كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية (المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة) لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن.

وتظهر أهمية السياق في الاعتناء بالجانب الاجتماعي للمعنى (أو سياق الحال

(١) ينظر: علم الدلالة - د/ أحمد مختار عمر - ص/ ٧١، وكذلك: علم الدلالة لـ أف. أر. بالمر ١٩٨١م - ترجمة: مجيد عبد الحميد الماشطة - كلية الآداب - الجامعة المستنصرية- ص (٦١).

(٢) ينظر: علم الدلالة لـ أف. أر. بالمر ١٩٨١م - ص (٦٣).

(٣) علم الدلالة ص (٦٨-٦٩).

(٤) المرجع السابق ص (٧٢).

والمقام)، فالمستوى اللغوي يقتصر على الكشف عن المعنى المقالي (الحرفي) منعزلاً عن المعنى الاجتماعي والثقافي حسب ما تؤديه القرائن، أي أن المعنى الدلالي يتّأتّى من السياقين كليهما، فعبارة (أهلًا وسهلًا) تقال عادة للترحيب، وتدل في موقف آخر على التوبيخ، كأن يقولها المدرس بطريقة معينة لتلميذه المتأخر عن المحاضرة، فهنا السياق يُحتّم على أن المراد هو التوبيخ والعتاب لهذا التلميذ المتأخر.

وبناءً على هذا الفهم يقسّم السياقيون السياق إلى عدة أنواع(١) هي:

السياق اللغوي: وهو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، الذي يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة، والنص الذي ترد فيه، أي موقعها من الجملة والنص وما يُكسبها من توجيهٍ دلالي(٢).

سياق الموقف: ويقصد به السياق الخارجي للغة، ويشمل كل ما يحيط باللفظ من عناصر غير لغويةٍ تتصل بالمكان والزمان، أو شخصية المتكلم، أو المخاطب أو الحركات والإشارات التي تسهم في تحديد دلالة الكلمة(٣).

السياق العاطفي: وهو المعني بتحديد درجة القوة والضعف في الانفعال، فكل كلمة أيًا كانت توقظ في الذهن صورة ما ، بهيجة أو حزينة أو غير ذلك، فهو يميز بين المعنى الموضوعي والمعنى العاطفي للكلمة.

السياق الثقافي: ويقتضي تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة(٤).

السياق السببي: ويقصد به ما يرد في المعجم من تعليلٍ لاستعمال الصيغة اللغوية على ما هي عليه، وما يرافق الصيغة من تغيير في الاستعمال نتيجة لتغيير الموقف والظروف، والأسباب الداعية لإطلاقها.

ويمكن أن نختصر هذه التقسيمات بسبب تداخل بعضها مع البعض الآخر

(١) علم الدلالة لـ د. أحمد مختار عمر - ص ٦٩.
(٢) دور الكلمة في اللغة - لـ ستيفن أولمان -ترجمه وقدم له: د/ كمال بشر - مكتبة الشباب- ص (٥٧).
(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي - د. محمد السعران - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - ص ٣١١.
(٤) علم الدلالة لـ د. أحمد مختار عمر - ص (٧٠-٧١).

إلى قسمين أساسيين هما: السياق اللغوي، وسياق الموقف أو الحال.

أهمية دلالة السياق عند المفسرين:

تعرّض المفسرون لمدى تميُّز القرآن الكريم عن غيره من سائر الكلام، وأنه قد تفرّد في نظمه وبيانه حتى وصل بهم الحال إلى أن وجدوا فيه ارتباطًا وثيقًا بين كل كلمة وأخرى، وبين كل آية والتي قبلها والتي بعدها، وبين كل سورة ومدى ارتباطها بما بعدها وما قبلها، بل تحدثوا عن الحرف الواحد الذي لا يمكن أن يحل محله أي حرف آخر، يقول الإمام الرازي في حديثه عن سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجزٌ بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا معجزٌ بحسب ترتيبه ونظم آياته»(١).

أرأيت إلى قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، فلولا دلالة السياق لما علمنا أن المراد هو التهديد والوعيد للعباد، بل لظنناه على وجه التكليف والإلزام، والدليل على ذلك أنه جاء لفظ التهديد: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، بعد قوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، وفي قوله سبحانه: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، لولا دلالة السياق أيضًا لما علمنا أن الأمر هنا هو للتعجيز، وليس طلب فعل ذلك على وجه الإلزام، وكذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فلولا السياق أيضًا لما علمنا أن الاستفهام هنا بمعنى النفي، أي: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وليس معنى ذلك أن الله يطلب معرفة جزاء الإحسان، وأنه لم يكن معلومًا لديه من قبل.

ويظهر الاهتمام بدلالة السياق في كلام العزِّ بن عبد السلام تـ (٦٦٠هـ) في إشارته لأهمية ذلك عند ترجيح دلالات بعينها في النص القرآني، إذ يقول: «وقد يتردد معنى الآية بين محامل يتساوى بعضها مع بعض ويترجح بعضها على بعض، وأولى الأقوال ما دلّ عليه الكتاب في موضع آخر أو السنة، أو إجماع الأمة، أو سياق الكلام، وإذا احتمل الكلام معنيين، وكان حمله على أحدهما أوضح وأشدّ موافقة

(١) مفاتيح الغيب - لـ أبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط الثالثة - ١٤٢٠هـ - (٧/ ١٠٦).

للسياق كان الحمل عليه أولى»[١].

والملاحظ أن العزّ يشير في النص السابق إلى أمرين غايةً في الأهمية:

الأول: دور السياق في انتفاء الدلالة الراجحة للنص.

الثاني: دور السياق في عملية ترجيح الأقوال ذاتها.

وظهر ما يسمى بـ علم المناسبة بين الآيات، وأنه من أهم ما يحتاجه المفسر، بمعنى معرفة الارتباط بين أوائل السور وأواخرها، وتعلق الآيات بآيات أخرى، مما يجعل الكلام بعضه آخذًا ببعض في أداء وظيفة التعبير عن المعنى، فيصبح التعبير كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء[٢]، بل وصل الأمر بالمفسرين إلى العناية بالسياق اللغوي للآيات حتى قالوا: « لِيَكُنْ محطُّ نظر الْمُفَسِّر مُراعَاةَ نَظْم الْكَلَام الَّذي سيقَ لَهُ، وإِنْ خَالَفَ أَصْلَ الْوَضْع اللغويِّ لثُبُوت التجوُّز؛ ولهذا تَرَى صَاحبَ الْكَشَّاف يَجْعَلُ الَّذي سيقَ لهُ الْكَلَامُ معْتَمدًا حتى كَأَنَّ غيره مطروح»[٣].

وأكثر ما تظهر أهمية السياق عندما يلتبس المعنى، فالسياق يزيل الإبهام عن المجمل، ويوضّح تخصيص العام أو تقييد المطلق، وهو الذي يحدد الدلالة المقصودة عند تنوع دلالات اللفظ، فيقول ابن قيّم الجوزية تـ (٧٥١هـ) في فائدة له عن السياق: « السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة.

وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته...»[٤].

وبالجملة فإنّ الدراسات القرآنية في جانب التفسير اتفقت فيما بينها على اعتبار وظيفة السياق، وعلى أنها إحدى قواعد الترجيح المعتبرة [٥]- إضافة إلى

(١) الإشارة إلى الإيجاز، لـ العز بن عبد السلام - ص ٢٢٠ (مخطوط).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن - للزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١- دار إحياء الكتب العربية - (١/ ٣٦)

(٣) المصدر السابق (١/ ٣١٧).

(٤) بدائع الفوائد - لـ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - دار الكتاب العربي، بيروت، (٤/ ٩-١٠).

(٥) اختلاف المفسرين نسخة نهائية - إعداد: أحمد محمد الشرقاوى - أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر - (ص: ٤٦).

تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة النبوية ومعرفة سبب النزول - يقول محمد رشيد رضا: «إن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته»(١).

الدراسة الدلالية لســـورة الفـــجر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [الفجر: ١ - ٣٠].

المحور الأول: دلالة السياق الخبري والإنشائي.

أولاً: دلالة السياق الخبري:

معلوم أن المقاصد والأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر هما غرضان أساسيان: (فائدة الخبر - ولازم الفائدة)، واشتملت هذه السورة على أخبار عدة، من ذلك هذان الغرضان، وأغراض أخرى تُفهم من خلال سياق الكلام وقرائن الأحوال.

قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، يبدو من

(١) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب- (١/ ٢٠).

خلال سياق الكلام أن الغرض من هذه الأخبار هو «فائدة الخبر»، إذ يجهلها الكثير من الناس، وهي تنبئ عن شدة أولئك القوم، وأنهم بنوا تلك الأبنية المرفوعة على الأعمدة التي لم يخلق مثلها في البلاد في عظم الأجساد وقوة البأس.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، بعد ذكر الأمم السابقة وطغيانها وإكثارهم للفساد في الأرض، جاء الحديث عن صبّ العذاب عليهم، وأنه سبحانه مترصِّدٌ لهم بذلك، فجاء السياق في هذه الآية مشتملًا على مؤكدين «إنّ» المؤكدة، و«اللام» المزحلقة المؤكدة؛ وذلك لإمعان المخاطبين في الإنكار لعذاب الله والترصُّد لهم، بحيث لا يفوت عذاب الله أحدًا من الجبابرة والكفار، وهذا الضرب يسمّى «إنكاريًا».

وقوله سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

كل هذه الآيات أخبار لإفادة المخاطب أنَّه عالم بهذه السلوكيات، وأن أفعاله تُصدّق ذلك، فهذا الإنسان من شأنه أنَّه لا يكرم اليتيم، بل يهينه وينقصه حقه، وهو كذلك لا يحضّ على طعام المسكين، ويحب المال حبًا جمًا، بل ويأكله أكلًا كثيرًا.

فلذلك نستطيع القول بأنَّ هذه الأخبار أُلقيت لإفادة المخاطبين بأنهم على علم بذلك، وأفعالهم وأقوالهم تصدِّق ذلك؛ إذ يفهم من سياقها أنَّ الغرض من إلقائها إظهار التوبيخ والتقريع والزجر لهذا الإنسان، الذي فُطر على ذلك، وكُلّف بمخالفة هواه ونفسه.

وقوله: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾، تكررت لفظة «يومئذ»؛ لأن المخاطبين - وهم الكفار - مترددون ويشكون بيوم القيامة؛ فلذا جاء السياق مؤكدًا بمؤكد واحد لهدف إيصالهم إلى اليقين الذي سيحلُّ محلَّ الشكّ والريب، ويسمّى هذا الضرب «طلبيًا».

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾، أُكدَتْ الآيتان هنا بسياقٍ معينٍ، وهو النكرة بعد النفي الذي يفيد التوكيد، فالمكذبون المخاطبون يشكّون في عذاب يوم القيامة والإيثاق فيها، فناسب السياق تأكيد ذلك

بمؤكدٍ لإيصالهم إلى اليقين، حتى يتمكَّن في نفوسهم ويحلَّ محلّ الشكَ والريب.

ولو نظرنا إلى دلالة ركني الجملة، فسنجد السورة قد تكرر فيها الفعل الخبري المضارع الدال على التجدُّد والاستمرار.

فقوله تعالى - حكاية عن الإنسان بأنه من شأنه يهينُ اليتيم ولا يكرمه، ولا يحض على إطعام المسكين - ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، وأن هذا الأمر متجدِّدٌ فيه ومستمرٌ، وكذلك من سلوكياته على الدوام والاستمرار أيضًا: أكل التراث أكلًا كثيرًا دون إحصاءٍ أو عدّ، أو عدم اكتراث من إتلافه، وحب المال حبًا عظيمًا؛ إذ قد طُبع الإنسان على هذه السلوكيات وصارت من سجيته وطبعه، ملازمةً له طول حياته، فيقول سبحانه: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

ومن ثمّ يتكرر ويتجدد - عند مجيء جهنم يوم القيامة - التذكرُ لـ عمله وتفريطه وعصيانه، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾، بل ويترجم ذلك بقوله الفعلي التجدُّدي المستمر، الذي يجهر فيه بالتمني لو أنه قدّم عملًا صالحًا ينفعه في الآخرة، بقوله: ﴿يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾.

ثانيًا: دلالة السياق الإنشائي.

الأسلوب الإنشائي الذي فيه معانٍ ولطائف بلاغيةٌ هو محصورٌ في الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، ولكل نوع من ذلك معنى حقيقي، أو معنى بلاغي يفهم من خلال سياق الكلام وقرائن الأحوال.

قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، بعد القسم تلو القسم والدلالة على عجائب قدرته ودلائل وحدانيته أتى الاستفهام في هذه الآية للتأكيد والتقرير في نفس المخاطب، بمعنى: حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، وتنبيهه على تدبر الأمر وتأمله بعقله وبصيرته.

و«هل» في هذه الآية بمعنى «إنَّ» المؤكدة، والتقدير: إنَّ في ذلك لقسمًا لذي حجرٍ، وقد يقول قائلٌ: لماذا أوثر الاستفهام هنا بدلاً من الخبر؟

والجواب من عدة وجوه:

الوجه الأول: لما في الاستفهام من تحريك المشاعر وإثارة الذهن، وأنَّه تعالى يقرر المخاطب هنا بأن ما أقسم به هو قسمٌ عظيمٌ لأصحاب العقول(١).

الوجه الثاني: لعل مجيء الاستفهام يفتح الذهن على احتمالات مضافة لا تتأتَّى مع التأكيد، من ذلك مثلًا: (هل) على تقدير: أليس ذلك قسمًا كافيًا مُقنعًا لأهل العقول؟

الوجه الثالث: ويحتمل معنىً آخر، وهو الإنكار عليهم، وهذا هو المعنى المجازي من الاستفهام، أي: كيف لا يكتفون بكل تلك الأيمان والأقسام؟ وهذا شأن الاستفهامات المجازية في القرآن الكريم دائمًا أو غالبًا تفيد الإنكار.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، الاستفهام في قوله: (ألم تر) تقريري، والمخاطب به النبي < تثبيتًا له ووعدًا بالنصر، وتعريضًا للمعاندين بالإنذار بمثله، والرؤيا هنا علمية المراد بها سماع ما حدث لعاد وثمود وآل فرعون، وسرها تفخيم العلم الذهني حتى لكأن المخاطب عاين ما حلَّ بتلك

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم - د. عبد العظيم إبراهيم المطعني - مكتبة وهبة القاهرة - ط٣ - (٣٦٢/٤).

الأمم من كوارث بعيني رأسه، لا بمجرد السماع والرواية النظرية[١].

قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]، «أنّى» بمعنى كيف، فهو استفهام لإنكار حال التذكر واستبعاده من قِبَل المخاطبين، ويفهم منه أيضًا الإيماء بالحسرة والغبن الشديد الحالّين على من اقترف أو أخطأ.

المحور الثاني: دلالتا الذكر والحذف.

أولاً: دلالة الذكر:

كل لفظ يدلُّ على معنى في الكلام، سواءً أكان مفردًا أم جملةً أم حرفًا٠ وسياق الجملة يحدِّد صحة ذلك المعنى من سقمه، ويؤكد جودته من رداءته، ومعلومٌ أنَّ الجملة في اللغة العربية تتكوَّن من عمدة في الكلام -المسند والمسند إليه - وفضلة وهو ما دون ذلك، فالعمدة تارةً يكون ذكره هو الأصل، وتارة يكون خلافًا لذلك، إذ يكون الأولى هو حذفه والاستغناء عنه إذا وجدت قرينةٌ ترجح حذفه، ومرجع ذلك إلى النحو، هذا الأمر الأول. والأمر الثاني: هو أنَّه لا بد أن نبحث عن سرٍ بلاغي يدعو إلى حذفه ويرجحه على الذكر.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]، ذكر المسند إليه (الليل) فيه تقوية الحكم في ذهن السامع، ولا سيما عندما جاء المسند فعلاً «يسر» رافعاً ضميراً مستتراً يعود على المسند إليه، وسر تقوية الحكم: أنَّ في مثل هذا التركيب تكرارًا للإسناد مرتين؛ من حيث الفعل وهو «يسر» الذي أسند إلى ضميره المستتر أولًا، ثم ثانيًا: أسند إلى الاسم الظاهر «الليل»، وهذا كله تقويةٌ لحكم القسم، وتأكيدٌ له من أجل أن يتقرر في ذهن السامع مدى عظمة ذلك القسم.

وفي إسناد السريان إلى الليل إسنادٌ مجازيٌ عقليٌ علاقته الزمانية، على حدِّ قول القائل: «ليلٌ نائم»، أي: ينام فيه؛ إذ الليل لا يسري، وإنما يُسرى فيه من قِبَل

(١) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم- (٣٦٢/٤)، والتحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)- الدار التونسية - تونس - (١٩٨٤هـ)- (٣٠/ ٣١٧).

مَن يستحق وصف السير، وفي هذا تجسيم لليل وتشخيص وفاعلية، بحيث يتمثل كائنًا حيًا يسري. وفيه كذلك إلباسٌ للحدث بزمانه، فالليل نفسه يسري كما يسري فيه كل سارٍ بليل.

ومن ذلك تكرر في هذه السورة ذكر المسند إليه سبع مرات: (ربك) أربع مرات و (ربي) مرتان، و (ربه) مرة واحدة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، و﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[الفجر: ١٣]، و ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[الفجر: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ و ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ، وفي كل ذلك إشعار بولاية الله تعالى وتأييده لصاحب الضمير (ك - الهاء- الياء) وزيادة التقرير والإيضاح للسامع بأنَّ قدرة الخالق ثابتةٌ له سبحانه ومطلقة.

ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، يشير إلى مدى قدرته وفعله بالمخلوقين العصاة من قوم عاد، ومن ثم صبّه عليهم عذاب الهلاك والدمار: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، وكذلك هو سبحانه مترصدٌ لهم بالويل والهلاك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وهو قادرٌ على ابتلائهم وامتحانهم بما يشاء، تارة يبتليهم بالنعمة فيُظنّ أنَّه إكراماً منه لهذا العبد، وتارة يبتليهم بالفقر والتقتير فيُظنّ إنه إهانةً منه للعبد: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[الفجر: ١٥]، و﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾، وانظر بعد ذلك إلى مدى إبراز الهيبة والإجلال في قلب العبد من مجيئه - سبحانه - يوم القيامة: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، مجيئًا يليق بجلاله سبحانه.

وتكرر المسند إليه المتمثل في واو الجماعة مع كثير من الأفعال؛ منها: ما كان الحديث عن الأمم السابقة (عاد وثمود): (جابوا - طغوا - فأكثروا)، وكأنَّ تلك الأمم كان من شأنها التكذيب والطغيان والإكثار من الفساد بصورة جماعية.

وجاء بعد ذلك الحديث عن جنس بني الإنسان، في قوله تعالى: (فأما الإنسان إذا...)، وتكرر المسند إليه أيضًا في الأفعال (بصورة واو الجماعة): (لا تكرمون - لا تحاضُّون - تحبُّون - تأكلون)، إشارة إلى أنَّ صفة حب المال والتعلق به مغروسة في جنس الإنسان، وأنَّها متجذرةٌ فيه.

ثانيًا: دلالة الحذف.

أ: حذف المسند إليه.

في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]، حُذف حرف العلة (الياء) في قوله (يسر) من غير ناصب أو جازم؛ والتقدير: يسري، يقول الأخفش عن ذلك: «عادة العرب أنَّها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسري، وإنما يُسرى فيه نقص منه حرف، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، الأصل: (بغية)، فلما حول عن فاعل نقص منه حرف»[(١)]، والحذف هنا[(٢)] دليل على شيء في المعنى، أي: في دلالة اللفظ على معناه، وواضحٌ أنَّ الذي ذكره الأخفش في هذا ليس قاعدةٌ، وإنما هو تصرُّفٌ قد يكون منهم في مثل هذا الذي ذكره، وكم من كلمات عدل بها القوم عن معناها، وبقيت في لسانهم كما كانت قبل أن يعدل بها، وصور المجاز كثيرةٌ، وكلها عُدل بها عن المعنى.

وكذلك اللفظ (يسر)، له مدلولٌ صوتيٌ دلاليٌ؛ يحمل كل معاني اللطف والسهولة لمضي الليل وسريانه الهادئ، وتقلبه على النهار، وتقليب النهار على الليل، ويلحظ ذلك من خلال حرفي السين والراء، اللذين أحدهما رخوي النطق، والآخر تصفيري الصوت، ففيهما ما فيهما من السهولة واليسر والسلاسة من حيث خروج الصوت، وخروج الهواء.

والمحذوف أيضًا المقسم عليه (جواب القسم)، والتقدير: «لنعذبنّ الكافرين»،

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط ١- (١/ ٥٩٨).

(٢) وهذا ليس فيه اتهام للقرآن بالنقص حاشا وكلا، وإنما حذف الحروف وارد في كلام العرب أيضًا؛ لدلالات لطيفة بلاغية بيانية، وأحياناً نحوية، وأخرى صرفية تتعلق ببنية الكلمة ف العرب كلما زادت مبنى زادت معنى.

أو «لتعذبنّ»، دلَّ عليه سياق الآيات؛ إذ بعد القسم جاء الحديث عن هلاك ثمود وعاد وو... وفي حذف المقسم عليه إشارةٌ إلى التخويف والتهديد الحاصل من ذلك الأمر، قال البقاعي: « حذف زيادة في تعظيمه واعتمادًا على معرفته بما هدى إليه من السياق في جميع السورة وما قبلها، ولما طوى جواب القسم لإرشاد السياق إليه وتعويل المعنى عليه، وتهويلاً له مع العلم بأنَّه لا يكون قسماً بغير مقسم عليه»(١).

قوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨]، حُذف هنا المسند إليه للعلم به من قبل، ورغبة المتكلم - وهو الله جل وعلا - في إظهار تعظيم نفسه، من أجل ألا يقترن اسمه مع هذه المخلوقات التي لا تستحق الذكر ولا تقارن بعظمته سبحانه.

وبنى الفعل في قوله سبحانه: ﴿يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ للمجهول، وحذف المفعول به لإرادة العموم، حتى يقول البقاعي في تفسيره: « وأوضح هذا - أي التعميم - بقوله معممًا للأرض كلها: (في البلاد) أي: في بنائها ومرافقها وثمارها، وتقسيم مياهها وأنهارها، وطيب أرضها وحسن أطيارها، وما اجتمع بها مما يفوت الحصر ويعجز القوى، ولا مثل أهلها الذين بنوها في قوة أبدانهم وعظيم شأنهم وغير ذلك من أمورهم »(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦]، حذف المسند إليه (ربه) لـ ابتلاه، لعل فيه إشارة إلى رغبة المتكلم في عدم مساس المخاطب «الإنسان» الشيء اليسير من الابتلاء أو التقتير عليه في الرزق، وإنما هو للابتلاء والاختبار بالشيء اليسير.

وقوله: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾، التقدير: (أهانني - أكرمني)، حذف المفعول به فيه إشارة إلى عدم وقوع شيء من الإهانة للإنسان حال التقتير عليه في المال، وعدم وقوع شيء من الإكرام له حال بسط الرزق عليه؛ إذ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- إبراهيم بن عمر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة- (٢٢/ ٢٦).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٢٧- ٢٨).

يعتبر الإنسان منزلته عند الله بمقدار ما منّ الله عليه من النعم في الدنيا، أي يعدُّ ذلك مقياسًا لإكرام الله له، أو إهانته له، وهذا من الإنسان خطأ؛ لأن الله يبتلي الصالح والطالح لتمام حجته على خلقه، كما قال سبحانه: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ومن حذف المسند إليه قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١]، فقد حذف الفاعل- وهو الله تعالى - للإشارة إلى عظمته وقدرته الخارقة في سرعة الامتثال من الأرض، إذ مجرد أن يقول لها: (كوني دكّا) فتكون كذلك، دون تريّث أو تردد أو تأخر، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]، بُني الفعل للمجهول، وحذف المسند إليه (الفاعل)؛ وذلك لتوفير العناية بالفعل (المجيء)، ولأن الغرض حاصلٌ به دون الافتقار إلى تعيّن فاعل، فالمراد هو مجرد ثبوت الفعل في ذلك اليوم العصيب، وكذلك فيه تهويلٌ لذلك الموقف وعظمة هذه النار، وأن من يأتي بها سبعون ألف ملك يجرونها.. كما ورد في الحديث النبوي(١)؛ لذا قال البقاعي: « فكلما عالجوها - أي: الملائكة - ذهابًا وإيابًا حصل للناس من ذلك من الهول ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وكان المهول نفس المجيء بها لا تعيين الفاعلين، لذلك بني للمفعول»(٢).

ب: دلالة حذف المسند.

حُذف فعل القسم (المسند) من بداية السورة في آيات القسم في قوله: ﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١ - ٣]، وهذا كله على تقدير حذف الفعل وتقديره: أُقسم بالفجر أُقسم بالليالي...، والحذف هنا اتباع مجاراة ما جاء في استعمال العرب من حذف هذا الفعل في كلامهم وعدم التصريح به.

وكذلك هذه الأقسام المتتابعة طالت، وفيه إشارة إلى التشويق إلى المقسم

(١) صحيح مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة. بيروت -(٨/ ١٤٩).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣٩).

عليه، أي جواب القسم، وهو المحذوف، والتقدير: «ليجازينّ كل أحد بما عمل أو لتعذبنّ»(١).

وحذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٨]، أي: لا تحاضون الناس، فحُذف لعلم السامع به، ولإفادة التعميم مع الاختصار والإيجاز.

المحور الثالث: دلالتا التعريف والتنكير.

أولاً: دلالة التعريف:

من المعلوم أنَّ حقَّ المسند إليه أن يكون معرفة، لأنَّه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلومًا، ليكون الحكم مفيدًا.

وتعريفه إما بالإضمار، وإما بالعلمية، وإما بالإشارة، وإما بالموصولية، وإما بأل، وإما بالإضافة، وإما بالنداء، ومما جاء التعريف به في هذه السورة ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، جاء المسند إليه معرفًا بإضافة الضمير الكاف إلى (رب)، وهذه الإضافة إضافة تشريف لصاحب الخطاب، وفوق ذلك أُبْهِم هذا المخاطب لتشمل قدرته بأنَّها نافذة على كل أحد، بما في ذلك محمد <، وكذلك كل مخاطب من أمته؛ لذا يقول ابن عاشور: « والعدول عن ضمير المتكلم أو اسم الجلالة إلى (ربَّك) في قوله: (فصبَّ عليهم ربُّك سوط عذاب)، وقوله: (إنَّ ربَّك لبالمرصاد)، إيماءً إلى أنَّ فاعل ذلك ربه الذي شأنه أن ينتصر له، فهو مؤمِّل بأن يعذِّب الذين كذبوه انتصارًا له انتصار المولى لوليه»(٢).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر: ١٥]، عُرّف المسند إليه (الإنسان) بـأل التعريف، وهي أل الجنسية، والغرض هو الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي، بقطع النظر عن عمومها وخصوصها؛ فيشمل هذا الإنسان

(١) انظر معناه في: صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني - دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة- ط١، (٣/ ٥٢٩).
(٢) التحرير والتنوير - (٣٠/ ٣٢٣).

الكافر وكذلك المسلم؛ إذ قد يقع بعض المؤمنين في شيء من هذا الطبع.

ومثله التعريف في نهاية السورة بأل العريف التي هي تشمل الإنسان العاصي والمقصر، الذي كان في غفلة؛ إذ يتألم على كل دقيقة مرت عليه دون ذكر الله تعالى، ويتمنَّى أنَّه قدَّم للحياة الأخرى الحقيقية الدائمة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣].

ثانيًا: دلالة التنكير.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]، تنكير (ليال) هنا لتعظيم قدر هذه الليالي وإظهار فضائلها، ألا وهي ليالي عشر ذي الحجة[(١)]، وإنما عُظّمتْ لأنَّها مخصوصة بفضائل ليست لغيرها، ولذا أقسم الله بها؛ إذ فيها تجتمع سائر الطاعات والعبادات من الصلاة، والذكر، والحج بما في ذلك مناسكه من الإحرام، والطواف، والسعي، والحلق أو التقصير، والذبح، والرمي...، وكذلك فيها يوم التروية، ويوم عرفة، وأفضل الأيام وهو يوم النحر.

قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، (قسمٌ) مسند إليه، جاء بصيغة النكرة للتعظيم، فهو قسمٌ عظيمٌ كافٍ ومقنعٌ لكل ذي لب وعقل؛ بل جاء الاستفهام في هذا السياق لغرض التقرير ولحمل المخاطب على أنْ يقر ويعترف بعظمة وكفاية هذا القسم وبلوغه منتهى العظمة، الذي لا يدرك ذلك إلا صاحب عقل متنور؛ لذا يقول الزمخشري: « أي: هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، فبعد أن جاء الكلام عن الأمم السابقة وطغيانها وإكثارها في الفساد، جاءت هذه الآية للإيذان بنزول العذاب عليهم؛ بل وصَبّه عليهم صبًّا، والصبُّ هو الإفراغ بشدة، وهو لفظٌ

(١) تفسير ابن كثير- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) -المحقق: سامي بن محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - (٨/ ٣٩٠).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)- دار الكتاب العربي - بيروت - ط٣ - (٤/ ٧٤٧).

مستعارٌ لحلول العذاب بهم دفعةً واحدةً، وإحاطته بهم كما يصبُّ الماء على المغتسل أو يصب المطر على الأرض، ووجه الشبه مركبٌ من السرعة والكثرة[١]، ثم أضاف إلى ذلك التنكير لهذا العذاب في نهاية الآية (سَوْطَ عَذَاب)، على شكل تذييل وتعليل للجملة التي في بداية الآية، وهو لفظٌ على شكل تشبيه بليغ، حيث أضيف المشبه به (سوط) إلى المشبه (عذاب)، بمعنى: « جعل عذابهم من الإغراق والرجف وغيرهما في وقته وتمكنه وعلوه وإحاطته كالمصبوب في شدة ضربه ولصوقه بالمضروب، وإسراعه إليه والتفافه به، كالسوط، وفي كونه منوعًا إلى أنواع متشابكة»[٢].

فالتنكير هنا فيه إشارة إلى أنَّه عذابٌ عظيمٌ وشديدٌ؛ بل من شدته الإفراغ بشدَّة الذي فيه ألم السرعة، ثم الإحاطة بهم من كل جانب (عليهم)، وثالثًا أنْ شُبّه بألم السوط الملتف على الجسم.

قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ...﴾ [الفجر: ٢٣]، جاء التنكير في لفظ (يومئذ) الأولى والثانية لتعظيم ذلك اليوم وتهويله في النفوس، وللدلالة على إيجاز ما سبق، فالأولى على تقدير: يوم تدك الأرض دكاً دكاً، ويجيء ربك والملك صفًا صفا، و(يومئذ) الثانية بدل من (إذا دكت الأرض)، والمعنى: يوم تدكُّ الأرض دكاً... إلخ يتذكر الإنسان، فتعظيم ذلك اليوم وتهويله حاصل في التنكير.

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦]، تنكير المسند إليه (أحد) في الآيتين للتعميم، فمن قرأ بكسر الذال (يعذِّب) وكسر الثاء (يوثِق) فالضمير لله تعالى، والمعنى: لا يعذب أحدٌ مثل عذاب ما يعذب به ذلك الإنسان المتحسر يومئذ، ولا يوثق أحدٌ مثل وثاقه، فـ أحد هنا بمنزلة «أحدًا» في قوله تعالى: (فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين) [المائدة: ١١٥]، وأما من قرأ بالفتح (يعذَّب) و (يوثَق) فالضمير للإنسان أي: لا

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٢٢).
(٢) نظم الدرر (٢٢/ ٣١).

يعذّب أحد مثل عذابه، ولا يوثق أحدٌ مثل وثاقه، فكأن التعميم شمل القراءتين، ولا يخفى ما في ذلك من تقوية الذكر لمن له قلب يتذكر، ووجدان يشعر.

المحور الرابع: دلالتا التقديم والتأخير.

التقديم والتأخير له مدلوله البلاغي وسره اللطيف والبديع، يتفطن لذلك من له ذوق حسن، واطِّلاعٌ واسعٌ في اللغة العربية؛ حيث يستطيع أن يفرق بين تقديم هذا المسند أو تأخيره، وتقديم المسند إليه أو تأخيره من حيث الدلالة والمعنى، وهذا يُعدّ من جمال اللغة العربية التي تميزت به عن سائر اللغات.

وتدرك من خلال هذا عظمة شأن النظم الذي هو عمود الإعجاز القرآني، وما للعرب من تفنن في نطقهم، ولتتذوق إعجاز القرآن الكريم الذي تراه يقدم كلمة تارة، ويؤخرها أخرى.

لذا يقول عبد القاهر الجرجاني:

«هو بابٌ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر[1] لك عن بديعة، ويفضي[2] بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكانٍ»[3].

أولاً: تقديم المسند:

قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، قدم هنا المسند (في ذلك) على المسند إليه للتشويق، حتى يصبح السامع مشتاقًا لذكر المسند إليه (قسمٌ)، وكل هذا لإفادة تأكيد عظمته في النفوس، بل حتى تمّت الإشارة إليه باسم الإشارة البعيد (ذلك) تقويةً لهذا المعنى، على الرغم أنَّ المقسم به مذكورٌ في الآيات السابقة القريبة جدًا: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١ - ٣].

قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ...﴾ [الفجر: ٢٣]،

(١) يفتر: يكشف.
(٢) يفضي بك: يوصلك.
(٣) دلائل الإعجاز ت شاكر (١/ ١٠٦).

(يومئذ) الثانية بدل من (إذا دكَّت الأرض دكًا..)، والتقدير: يوم تدك الأرض دكًا دكًا... يتذكر الإنسان، وقُدّم المسند (يومئذ) للاهتمام به، وأنَّ ذلك جديرٌ بالذكر والاهتمام، وأيضًا تكراره مرتين ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ...﴾، فيه إطناب ليدل على التشويق؛ وذلك في حصول الإجمال أولًا ثم التفصيل بعد ذلك(١).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]، قدّم المسند (له) على المسند إليه لتعجيل المساءة نكايةً بالمخاطب في أنَّه لا يستحق مثل هذا التذكير كما كان في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٩، ٣٠]، قدم المسند الفعل (ادخلي)، بل وكرَّر مرتين فلم يقل مثلاً: (فادخلي جنتي وفي عبادي)، كل ذلك للاهتمام بالدخول بخصوصه تحقيقًا للمسرة لهم، بل وتعجيلها لهم بالدخول، فهو دخول يستأهل ذكره وتكراره لما يحمل في طياته من تفاؤل وتعجيل للمسرة والفرح للمخاطبين، كقول الشاعر:

سَعدتْ بغرة وجهك الأيامُ وتزينتْ بلقائك الأعوامُ(٢)

ثانيًا: تقديم المسند إليه:

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ و ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦]، ففي قول الإنسان: (ربي أكرمن) و (ربي أهانن) قُدّم المسند إليه في كلا الآيتين دون أن يقول: (أكرمني ربي - أهانني ربي)؛ وذلك لتقوية الحكم في ذهن السامع في نسبة الإكرام والإهانة للرب تبارك وتعالى، -كما في ظن واعتقاد الإنسان- فهو يقول هذا الحكم على الله جازمًا غير متردد؛ حيث قد أُسند الفعلان (أكرمن - أهانن) مرتين؛ مرة إلى الضمير المستتر فيهما العائد على (ربي)، ثم أسند ثانيًا إلى الاسم

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٣٨).
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ١٩٨).

الظاهر (ربي) المتقدم، وفي إسناد الحكم وتقويته وهو (الإكرام) الرب للإنسان عند النعمة، وإسناد (الإهانة) للإنسان أيضًا عند التقتير فيه مدى ما يحمله الإنسان من جهل بالله تعالى، وأنَّه ظالمٌ لنفسه بهذا الاعتقاد الجائر.

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦]، قدم المفعول به على الفاعل لتوكيد الحكم وتقويته وللاهتمام به، فالعذاب والإيثاق كلٌ منهما له أهميةٌ بالغةٌ، حتى يقول الألوسي: « وفيه تعظيم عذاب الله تعالى ووثاقه - سبحانه - لهذا الإنسان الذي شرح من أحواله ما شرح على طريق الكناية»(١).

المحور الخامس: دلالة السياق عند اللغويين المعاصرين:

أولاً: دلالة السياق العاطفي للسورة:

تبدأ هذه السورة بقسم تلو قسم، بأزمنة معيّنة، وبظل عبادة وصلاة مخصوصة، كل ذلك لإثارة العاطفة نحو أهميتها، وأنَّها معظّمة عند الله سبحانه؛ لذا أقسم بها ليلفتَنا إلى مدى عظمتها، بل ويكرر هذا القسَم من أجل أن يُتأكد وقوع المقسم عليه، وأنَّه حقٌ لا شكَّ فيه ولا ريب.

ثم يأتي استفهام أول يحملُ الآخرين على الإقرار بأن هذا القسم يُجْدي وينفع كل ذي لب وعقل ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾.

ثم يشدُّ المخاطبين بسؤال مباشر للنبي عليه الصلاة والسلام، استفهام يحمل في طيّاته استثارة المخاطب، وحمله على أن يسأل عن كنه فعل الله سبحانه بالأمم السابقة، وكيف كان مقدار عظَمهم في الخَلق، وكيف أهلكهم، وأسكب عليهم عذابه صبًا؟ !!! فيقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

ثم تأتي الطمأنينة التي تنسكب في قلب العبد المؤمن في أن الله مترصدٌ لهم بالعذاب والويل، فلن يفلتوا منه، ومن عقابه، فليطمئنَّ ولا يقلق من أجل ذلك، ﴿

(١) روح المعاني - شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) - المحقق: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية - بيروت- ط١- (١٥/ ٣٤٤).

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٣، ١٤].

فلفظ (المرصاد) يتمثّل فيه السياق العاطفي بأبهى صورة، وذلك في بيان مدى درجة القوة في غضب الله تعالى على الطغاة المفسدين، فهذا اللفظ أبلغ من استعمال (الانتظار) أو (الترقُّب) رغم اشتراكها جميعاً في أصل المعنى.

ثم يتكلم عن حال الإنسان الذي من شأنه الجحود بنعم الله، وأنَّ ذلك متجذرٌ فيه ومتعمقٌ، فلذا لا بد من قولٍ قوي، وجوابٍ رادعٍ وزجرٍ لثنييه عن هذا السلوك المقيت والتصورات المغلوطة، فيقول: «كلَّا بل لا... »، ويسرد بعد ذلك الأدلة على جحوده بنعم الله وآلائه وعدم شكره لها.

ثم يأتي الردع الآخر والأقوى والمزلزل، المشهد العنيف والمخيف، الذي فيه حديث عن يوم القيامة واندكاك الأرض، ومجيء الرب سبحانه، والملائكة صفوفًا صفوفًا، بل ومجيء جهنم التي فيها عين عذابه وسخطه سبحانه لهذا الإنسان الجاحد الناكر بنعم الله وآلائه.

عند ملاحظة ذلك المشهد العظيم إذا بعاطفته تميل به نحو الندم والحسرة، فيعلنها صادقة صارخة، معبراً عن ذلك بالتمنّي الذي يملئ قلبه ألماً وحسرةً في أنه لم يقدّم للحياة الحقيقية الوافية المكتملة الأبدية.

ثم يأتي النداء الإلهي الترغيبي، المشعر بقرب الله تعالى للعبد، صاحب النفس المطمئنة ليسكب في قلبه الرضا والطمأنينة والراحة، وأنَّه سيستقر بعد ذلك في جنة عالية، بل ويخاطبها الرحمن بإكرام وامتنان منه سبحانه بتكرار فعل الأمر عدة مرات: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

ثانيًا: دلالة السياق الثقافي للسورة:

السياق الثقافي يتم في تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.

فلو نظرنا إلى بعض الكلمات المستعملة، فسنجد بأن القرآن الكريم قد

استعمل مع كفار قريش والعرب آنذاك ألفاظًا خاصّة، تنبئ عن مدى ثقافتهم، وأنَّهم يدركون معاني تلك الألفاظ (لذي حِجْر - المرصاد - لمًّا - جمًّا)، فكلها ألفاظٌ يدرك معناها العربي في ذلك الزمن، من خلال ثقافته وسماعه، فهم أرباب فصاحةٍ وبلاغةٍ وبيانٍ، ويدركون ما لها من دلالات موحية بقدرٍ كبيرٍ من التأثير، واختيارٍ دقيقٍ محكمٍ، فلا يمكن أن تحلّ محلَّها ألفاظٌ أخرى تؤدِّي المعنى نفسه، الذي أتت به هذه الألفاظ في السياق نفسه.

أما من ناحية النظر العام للسورة، فكفار قريش المخاطبون شأنهم التكذيب بالعذاب وبيوم القيامة، فناسب أن يؤكد لهم بقسم تلو قسم، بمخلوقات عظيمة، كونها دلائل باهرة على التوحيد، وكون ذلك يوجب باعثًا على الشكر والحمد والثناء.

ويسألهم بعد ذلك عن مصارع القوم الغابرين المتجبِّرين، الذين يتحدَّثون عنهم في مجالسهم وأنديتهم.

ثم يحاججهم بتلك الصور والسلوكيات الخاطئة، التي أصبحت من جنس ثقافتهم وحياتهم اليومية، وهي: إهانة اليتيم، والتعالي عن حضّ إطعام المساكين، وأكل المال الكثير نتيجةً لمدى حبهم له في نفوسهم.

ثم يختم بذلك الحدث الهائل الذي يتوعدهم به، ولطالما تحدثت عنه الديانات السابقة، وأصبح جزءًا من ثقافتهم، فيأتي بالترهيب أولاً من الانقلاب الكوني الهائل، ثم ما يتلو ذلك من مشاهد يوم القيامة، وما فيها من عذابٍ منقطع النظير.

ثم يختم بالترغيب، والحديث عن مستقر رحمته ورضوانه الذي يتمناه كل إنسان.

الخاتمة وأهم النتائج:

في هذا البحث الذي كان ميدانه مع السياق القرآني في سورة الفجر دراسة دلالية.

نخلص إلى الأمور الآتية:

١- أنَّ دلالة السياق له أهميةٌ كبيرةٌ في فهم الكلام -المنظوم والمنثور - واستيعابه.

٢- أنَّ دلالة السياق له أصلٌ عند البلاغيين واللغويين القدماء من خلال مقولتهم المشهورة: «لكل مقام مقال»، وليس مقتصرًا على علماء اللسانيات واللغويات المعاصرين من العرب أو الغربيين.

٣- أن معرفة دلالة السياق يرشدنا إلى كيفية التعامل مع النصوص القرآنية تقديمًا وتأخيرًا، تعريفًا وتنكيرًا، ذكرًا وحذفًا... حتى ظهر ما يسمى عند المفسرين بـ علم المناسبة بين آيات القرآن الكريم والسور.

٤- كما أنَّ هناك دلالة سياق لغوي للآيات القرآنية فكذلك يوجد دلالة سياق عاطفي وثقافي، يفهم من مدى عاطفة المخاطبين، وسعة ثقافتهم في بيئتهم التي يعيشونها.

٥- في سورة الفجر دلالاتٌ سياقيةٌ لطيفةٌ تستحق الوقوف عندها.

٦- يوجد فيها أيضًا ترابطٌ عجيبٌ ومحكمٌ في سياق الآيات بعضها ببعض، من بدايتها إلى منتهاها، وهذا هو شأن القرآن جميعًا الذي لا تنقضي عجائبه، فهو نظمٌ محكمٌ دقيقٌ.

المصادر والمراجع:

١. ابن فارس، أحمد (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون - دار الفكر.
٢. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين (١٤١٢هـ)، (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي - دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - ط١.
٣. مختار عمر، د. أحمد (١٩٩٨م) علم الدلالة، عالم الكتب - القاهرة.
٤. ديوان امرئ القيس، (المتوفى: ٥٤٥ م) - دار المعرفة -بيروت، ط٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
٥. ابن منظور، لسان العرب - دار صادر - بيروت، ط١.
٦. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، (المتوفى: ٧٣٩هـ) - الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل - بيروت - ط٣.
٧. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان - مكتبة الشباب.
٨. أنيس، د. إبراهيم - دلالة الألفاظ، ط ٥- مكتبة الأنجلو المصرية.
٩. العلوي، يحيى بن حمزة (١٤٢٣هـ)، (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- المكتبة العنصرية - بيروت - ط١.
١٠. الرازي، أبو عبد الله فخر الدين (١٤٢٠هـ) (المتوفى: ٦٠٦هـ)- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٣.
١١. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (المتوفى: ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد - دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٢. العز بن عبد السلام - الإشارة إلى الإيجاز، كتابة قديمة، وليس له دار نشر (مخطوط).
١٣. الزركشي، أبو عبد الله محمد (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، (المتوفى: ٧٩٤هـ)،

البرهان في علوم القرآن- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

١٤. رضا، محمد رشيد (١٩٩٠م) تفسير المنار، (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٥. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (المتوفى: ٢٥٥هـ)، (١٤٢٣هـ) البيان والتبيين - دار ومكتبة الهلال، بيروت.

١٦. معمر بن المثنى، أبو عبيدة (١٣٨١هـ)، (المتوفى: ٢٠٩هـ)، مجاز القرآن، المحقق: محمد فواد سز-ين، مكتبة الخانجى - القاهرة، ط.

١٧. الأنصاري، عبد الرحمن بن محمد (ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، (المتوفى: ٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن.

١٨. القاضي الجرجاني، أبو الحسن على بن عبد العزيز(المتوفى: ٣٩٢هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٩. نهر، د. هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١.

٢٠. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (المتوفى: ٢٧٦هـ)، أدب الكتاب، المحقق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

٢١. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن،(المتوفى: ٤٧١هـ)، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، دلائل الإعجاز، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣.

٢٢. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن،(المتوفى: ٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٢٣. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (المتوفى: ٢٨٥هـ)، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة - ط٣.
٢٤. الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الفكر - بيروت - ط٢ - تحقيق: سمير جابر.
٢٥. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، (المتوفى: ٦٢٦هـ)، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط٢.
٢٦. د. فندريس، اللغة، تعريب/ عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - مكتبة الأنجلو المصرية مطبعة لجنة البيان العربية.
٢٧. أف. أر. بالمر (١٩٨١م) علم الدلالة - ترجمة: مجيد عبد الحميد الماشطة - كلية الآداب - الجامعة المستنصرية.
٢٨. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان - ترجمه وقدم له: د/ كمال بشر - مكتبة الشباب.
٢٩. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمد السعران - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت.
٣٠. الصابوني، محمد علي، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة- ط١.
٣١. المطعني، د. عبد العظيم إبراهيم، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، مكتبة وهبة القاهرة - ط٣.
٣٢. السبكي، أحمد بن علي بهاء الدين، (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١.
٣٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (١٩٨٤هـ)،

التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس.
٣٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت - ط٣.
٣٥. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، (١٤١٥هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية - بيروت - ط١.
٣٦. البقاعي، إبراهيم بن عمر، (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٣٧. اختلاف المفسرين نسخة نهائية - إعداد: أحمد محمد الشرقاوى - أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر.
٣٨. صحيح مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.
٣٩. تفسير ابن كثير- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) - المحقق: سامي بن محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.